بلاغة الرسالة الجدية لابن زيدون
مقاربة حجاجية

أ.م.د صفاء حسين لطيف
جامعة كربلاء كلية العلوم الاسلامية
قسم لغة القران وآدابها

balaghat alrisalat aljidiyat liabn zaydun
muqarabat hajajia

u.m.d safaa hussain lateef
University of Kerbala- Islamic of college
The department of Arabic

الملخص:-

اقتصر هذا البحث على مجموعة المفاهيم البلاغية التي تعد حجاجيةً بحتةً مثل حُسْن التعليل الذي يظهر المبدع مخترعاً. للحجج او العلل الخيالية التي تدعم كلامه وتؤكد صحته هذا من جانب ومن جانب اخر نجد حضور المذهب الكلامي التي عرف بقوه الحجة التي ينماز بها أصحاب **(علماء الكلام)** الذين يجعلون طريقتهم في القاء الحجج وأساسها هي الطريق الامثل للاحتجاج. هذا ما نجده واضحا في التشبيه التمثيلي والاحتجاج العقلي وغيرها. **كلمات افتتاحية:- البلاغة – ابن زيدون – الرسالة الجدية – مقاربة – الحجاج**

Almulakhasu-:

aiqtasar hadha albahth ealaa majmueat almafahim albalaghiat alati tueadu hjajytan bhttan mithl hunsn altaelil aladhi yuzhir almubdie mkhtreaan. lilhujaj aw alelal alkhayaliat alati tadeam kalamah watuakid sihatah hadha min janib wamin janib akhar najid hudur almadhhab alkalamii alati eurif biqawh alhujat alati yanmaz biha 'ashab (eulama' alkalami) aladhin yajealun tariqatahum fi alqa' alhujaj wa'asasiha hi altariq alamithal lilaihtijaji. hadha ma najiduh wadihan fi altashbih altamthilii walaihtijaj aleaqlii waghayriha .

kalimat aftitahiati:- albalaghat - abn zaydun - alrisalat aljidiyat - muqarabat – alhujaaj

إنّ المتتبع لمجمل الخطاب البشري يكاد يجزم أنّ اغلب هذا الخطاب يعتمد اعتماداً كبيراً على البلاغة ويستند عليها **لسببين مهمين هما**

١- لان البلاغة تعتمد على طاقات ابداعيه كثيره.

٢- ولان البلاغة حاضرة في العقل الانساني ومهيمنه عليه؛ ولذا نجدها حاضرة في المحافل الدينية والثقافية والسياسية.ومن أجل هذه الأسباب الأنفة الذكر نجد أن النظرية الحجاجية استندت في كثير من جوانبها على البلاغة وبالأخص في العصر الحديث فنجدها حاضرة وفعاله في الخطابين الاعلامي والاقتصادي. وبما إن الاساس عند كل متكلم هو تحقيق مبتغاه من الافهام والتأثير اضافة الى النتيجة من تحقيق تغيير المواقف والآراء فهو يجد ضالته في البلاغة وعلومها .والهدف العام من البلاغة هو تحقيق الوضوح والتأثير [١]. انّ سلطه الكلمة سلطة عليا على الفكر وهي سلاح فعّال بيد المتكلم فيتمكن من خلالها السيطرة على القلوب وتلينها، ولها أيضا **(الكلمة)** دور مميز في تحقيق الغايات ونيل الاغراض. والتاريخ العربي حافل بأمثلةٍ كثيره تذكّر لنا دور الكلمة في تغير الكثير من المواقف خاصة اذا كان الأمر متعلقا بالدفاع عن الدين والعقيدة وهذا ما امتازت به الدولة الإسلامية وسرعه انتشار الاسلام الذي اتخذ الكلمة اساساً في نشر عقائدِهِ، وارساء قواعدها في العالم كلهِ. وفي العصر الحديث نجد اقبال المتكلمين على البلاغة وفنونها اقبالاً منقطع النظير ايمانا منهم بدورها الفعال في تحليل الحدث الكلامي [٢]، ومن ذلك نجد أن الغاية الرئيسة عندهم ليست البلاغة بحد ذاتها وانما هي نيل المطالب وبلوغ الاهداف من خلالها. ومن جانب أصحاب اللغة وعلمائها فنجدهم عادوا إلى البلاغة لابراز دورها في الخطابات الإنسانية المختلفة [٣]. ويمكن حصر هذه المحاولات في بُعد واحد فقط وهو إحياء البعد الحجاجي لها إضافة إلى تأكيد قضايا الإقناع فيها [٤], وهناك من نظر اليها على انها حجاج في ذاتها لانّ وراء كل حجاج بلاغة والعكس صحيح [٥]ونجد انّ الحجاج البلاغي في النصوص الادبية العالية يكون مقصوداً ايّ ان الحاجة الية مهمة تتحقق من خلال التنويع في الصور [٦] ومن أجل ذلك نجد أن اغلب الخطابات السياسية والأدبية وغيرها تبني خطاباتها من الداخل على أساس بلاغي سواء اكان مقصودا ام بغير قصد لأنها تزيد من قوة الخطاب التأثيرية ولإقناعيه.وهذا بدوره يسلط الضوء بشكل مميز وفاعل على البلاغة واساليبها متخذاً من اقواها واكثرها حملاً للطاقة الحجاجية اساساً تستند عليه في بناء خطاب الى درجة ان اغلب الباحثين اطلقوا اسماً عاماً على ذلك وهو (الاستدلال الحجاجي في البلاغة العربيةِ)[٧]، ومن اجل ما تقدم دفع بنا دافع أدبي حجاجي بلغ ذروته في مدة زمنية عربية اندلسية خالصة إلى دراسته ضمن مقاربة حجاجية لإظهار قوتها وبراعة مؤلفها في إثبات حجته وابراء ساحته أمام من ارسلها اليه وهي الرسالة الجدية لأديب الاندلسي ووزيرها ابن زيدون.

إضافة إلى ما يتمتع به ابن زيدون من مواصفات منها :-

١- انه يمتلك شهرةً واسعةً غطت البلاد الإسلامية واشتهر فيها كونه برع في الشعر والنثر.

٢- انّ ابن زيدون ولي مناصب سياسية جعلت منه محط انظار المحبين والمنافسين.

٣- ادبه كان محط انظار الباحثين فتعددت الدراسات عنه وعن نتاجه الادبي والكتابات لا تنفك ان تتحفنا بالجديد دائماً.

وسنعرض في هذا البحث نماذج من رسالة ابن زيدون الجدية انمازت بالصفة الاقناعية جعلت من هذه الرسالة خالده لحد الان.

١- **حُسن التعليل:-** يرتكزُ المرسل في تأسيس خطابه الحجاجي علىُ حسن التعليل لان من خلاله يتمكن ويوفق الى بناءِ الحجج واحدةً تلو الاخرى وما يدفع بالمرسل الى ذلك هو تبريرٌ لموقف صدر عنه او ردّا على سؤال تلقاه حقيقةً [٨] ؛ ولان عين الحجه هو إظهارها،

وان العله تأتي لبيان الاسباب المقنعة بالمعاني المطروحة [٩]. وهذا يؤكد اهمية حسن التعليل في البلاغة .وفي الحقل الحجابي نجد ان حُسنَ التعليل يتشكل من خلال المحاولة الجديةِ والحقيقية للمرسل لأقناع المخاطب برأيه او الفعل الذي قام به مستمداً حجاجيتهُ من خلال الربط الموفق بين الاسباب والنتائج. [١٠]

واذا ما جئنا لتحديد المنحنى العام لتناول حُسن التعليل نجده في اتجاهين رئيسين هما :-

١- الاتجاه العلمي الدقيق:- ومفاد هذا الاتجاه انه يرى ان حُسن التعليل ما هو الاّ وسيلةً علمية سريعة ومناسبة للبيان والتفسير, أو انّه يضع اثباتاً حقيقياً للحقائق الواردة في الخطاب وهذا بدوره يقترب من المذهَب الكلامي. كما اننا نجده حاضراً افعلياً في الشواهد القرآنية.

٢- الاتجاه الفني المحض:- وهنا تظهر براعة المرسل وقدرته الفنية على الخلق المبدع فهو هنا يفسح المجال لمخيلتهِ وسعه ثقافته لاختراع علةٍ غير حقيقه تتناسب مع الوصف الذي يريده. ونجد ان الجرجاني قد عرفه ب ((ان يكون للمعنى من المعاني او الفعل من الأفعال علةً مشهورةً من العادات والطبائع , ثم يجئ الشاعر فيمنع ان تكون لتلك المعروفة ويضع له علةً اخرى)) [١٢] .

وقد قيدها البلاغيون بقيود اربعه هي[١٣] :

١- الادعاء :- وهو الزعم الكاذب على سبيل التخيير.

٢- المناسبة :- الربط بين العلةِ والمعلول.

٣- اللطف :- غرابه العلة.

٤- اللاحقيقية :- هي على سبيل المبالغة فقط. واستناداً لهذه القيود سُمي **(حُسن التعليل)** فالشاعر أو الكاتب ((يدعي في الصفة الثابتية للشيء انه انما كان لعله يضعا ويختلقها إما لأمر يرجع الى تعظيم الممدوح او تعظيم امر من الامور))[١٤]وتنعقد القاعدة الرئيسية هنا في قدره المبدع على الاختراع اي أنّه يخترع العلة والمعلول المناسبة لمراده ثم يقوم بالجمع بينهما بغرابه مع دقةٍ وتناسب ولهذا السبب تمَّ عده من الاساليب البلاغيّة التي تعتمد على القدرة على الخلق والابداع فالمرسل يروم اثبات الحقيقة بالخيال والسر في ذلك أنه ((يحوى اختلاق العلة وادعائها والتلطف بها حتى تكون مناسبه تلائم الوصف وهو أمر يحتاج الى رهافة الحس ودقه النظر ولا يدركه الاّ من تصرف دقائق المعاني))[١٥]. وهذا الاسلوب قد شكّل بُعداً اساسياً في رساله ابن زيدون الجدية ومن ذلك ما نجده واضحاً في طريقة استعطافه لابن جهور ولأن الاستعطاف يتطلب من المرسل عرض مجموعة لا متناهيه من الحجج والبراهين التي تتكفل بايراء ساحته مما نسب إليه وُيرقق وُبلين قلب المستعطف من خلال رسم مجموعة حجاجيه عالية الدقة والتناسب يكون حُسن التعليل اساسا فيها ومن ذلك قوله :[١٦] (وانْ سلبتني أعزك الله , لباس أنعامك وعطلتني من حُلى إيناسك , وأظمأتني إلى برود إسعافك , وغضضت عني طرف حمايتك , ونفضت بي كف حياطتك نجد ان الادعاء الذي جاء به أبن زيدون بُني على مجموعة غير قليلة من الصفات التي كان يتمتع بها وهو في حضرة ابن جهيور وتحت لوائِه.فابن زيدون استطاع ببراعته ان يضع ابن جهيور امام حقيقة مباشرة من خلال مجموعة الحجيج التي وضعها امامه اولاً معللا بها الحال التي وصل إليه بعد تجريده منها دافعاً بها امام ابن جهيور لأمرين هما :-

١- ان يكون ابن جهور امام تصورا كامل عن تحقيق المراد الفعلي من السجن الذي زجّ ابن زيدون داخله.

٢- ان يضع ابن زيدون الامير امام مفترق طرق حديه إما ان يكمل قراءه رساله ابن زيدون ويتحقق من مجموع ما يريده ابن زيدون منه وكيف يعرض لحاله ومدافعته عن نفسه للخروج من المأزق. او ان لا يكمل قراءتها ويبقى على حكمه، فعلى سبيل المثال ان السلب كما هو معروف للحاجات المادية لكن ابن زيدون استطاع ان يتحدد بقيد المناسبة ليصل إلى البعد المعنوي المختص بالحالة النفسية التي يعيشها الإنسان بعد ان يفقد الاهتمام والرعاية، وهذا ما فتح المجال أمام اعداء ابن زيدون في تحقيق مبتغاهم وتفريقه عن ابن جهور. فمجموع الصفات التي كثفها ابن زيدون في وصف ابن جهور كسرت التوقع الطبيعي والجأتنا الى التوقف أمام كل عبارة حتى نتمعنها وندقق في المفردات التي تكونت منها لتحقيق المراد النهائي وهو الحصول على استعطاف الامير. ثم ينتقل بنا ابن زيدون إلى مجموعة اخرى يستند فيها على المبالغة ليتم له بذللك ما يؤكد عليه حُسن التعَليل من ادعاء الصفة الثابتة للشيء ومن ثم. اختلاقه للعلل مُرجعاً ذلك كله لابراز التعظيم لشخصية ابن جهور فنراه يقول (بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وأحس الجمادُ بإستِحمادي إليك , وسمع الأصمُّ ثنائي عليك ان مجموعه العلل التي جاء بها ابن زيدون تخالف ما كان ينتظره المتلقي فالأعمى لا يرى لكنه رأى ما كان من ابن زيدون وتأميله الذي بلغ الجميع، ثم انتقل إلى عالم اللاشعور وهو الجماد فنجده يكسر طوق التوقعات ويجعل للجماد احساساً بشرياً يشارك الانسان في قضيه ابن زيدون وهذه الحجج تؤكد الحال التي كان عليها ابن زيدون وابن جهور من وئام ومحبة . وهذه الدلالات جميعا

تجعل مقدمه الرسالة نابضه وفعّاله وتساؤل يقدح في ذهن ابن جهيور عن اللالىء التي اردفها ابن زيدون بعد ذلك في رسالته وجعله متشوقاً لتتبعها واكمالها ومن ثم النتيجة بالحكم.

٢-المذهب الكلامي:- ان المطلع والقارئ للأُسس التي يستند عليها علم الكلام يعلم يقيناً ان هذا العلم يشترط شرطا اساسيا في حجاجيه الاّ وهو الثقافة الموسوعية لأنها الاساس الذي يستند عليها المتكلمون في اثبات حجتهم وادليتهم ، وعلى المختص في علم الكلام ان يكون متعلقا ومتعمقا بكل علم وصناعه [١٨]. وهو يعد اسلوباً حجاجياً يعتمد عليه المتكلم ويوظفه لأقناع الخصوم بالحجة والبرهان. كما انّه يعد من الاساليب الاستدلالية الحجاجية التي وضفت في الدرس البلاغي القديم الذي تمتزجُ فيه أساليب أخرى مما يُكسبه قوةً في الابلاغ الحجاجي[١٩]كما ان الأصل في قوة المذهب الكلامي أنه يستمدها من الأصل فهو علم الكلام الذي كان الوضع الأساس له هو الدفاع عن أصول الدين بالأدلة والبراهين العقلية القاطعة.[٢٠]لذا فقد تأثر به كثير من الادباء وابن زيدون احدهم جاعلاً من ثقافته الموسوعية التي تعد اساساً في هذا المذهب اساساً فاعلاً لانطلاقته في ابراز الحجج والبراهين القاطعة التي لا مجال لأنكارها ورفضها مثل [٢١]((اني لأ اتجلد وأري للحاسدين أني لا اتضعضع واقول : هل أنا الاّ يدٌ ادماها سوارها، وجبينٌ عضّ به اكليلهُ ومشرفيّ ألصقهُ بالأرض صاقله، وسمهريّ عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب فيه سيده مذهب **الذي يقول:**

فقسا ليزجره ومن يكُ راحماً ••• فلْيَقْسُ أحياناً على من يرحمِ

ثم يقول:- وهذه النكبهُ سحابةُ صيف عن قليلٍ تقشع، فابطأ الدلاءِ صعوداً املؤها، واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الغيث ما صادف جدباً)[٢٢] نجد ان ابن زيدون يتكلف الاتيان بالحجيج والبراهين الكثيرة التي تؤكد فضائل ابن جهيور عليه متخذا من ثقافته الموسوعية واطلاعه على الحالات والمهارات إضافة الى طرق التأديب التي توضّح أساس العلاقة بينه وبين ابن جهيور لذا فان ابن زيدون - يحتج بهذه الصور التي اعتادها وانها تحققت على وجه الحقيقة في حادثته مع ابن جهور .وما البيت الذي اورده ابن زيدون الاّ مثالاً حقيقياً على قيمة المذهب الكلامي في الشعر، لان الشاعر يعمد الى جمع اقوى الحجج واشد البراهين حتى لا يجد المنكر سبيلا لأنكارها او رفضها.

٣- **التشبيه:**- انماز التشبيه من بين فنون البلاغة بمكانةٍ مميزه انفرد بها لقدرته الواضحة على الجمع بين المتناقضات ، والتقريب بين المتباعدات، مما يضيف الى القول قوة وثراءً على المستوى الصوري والدلالي. فنجد ان السكاكي قد أشار الى العلاقات غير الظاهرة تحت مسمى(الجامع) الذي لا يتحقق ولا يمكن ادراكه الاّ بجعل الملتقي طرفاً اساسياً في الخطاب عن طريق تحفيز الجانب العقلي لديه اولاً واستفزاز خياله ثانياً .ويمكن تحديد انواع (الجامع)على أساس الفهم العام والخاص الى ثلاثة انواع هي:

١- **الجامع العقلي:**- وهو يكون حاضراً بشكل أساس في السبب والمسبب ومدى الاتحاد أوالتماثل في الحضور بينهما.

٢- **الجامع الوهمي:**- وهنا يعمل شبه التماثل دوراً اساسيا فيه، او التضاد او شبه التضاد. وهذان النوعان يشترك الناس جميعا في كيفية فهمهما [٢٣].والدور الذي يلعبه المتلقي في هذين النوعين مهم جداً اذ يتحتم عليه إدراك مجموع العلاقات المتكونة والرابطة بأعمال عقله وتحريك فِكْرِه كما انه المسؤول الاكثر حضوراً في ايجاد العلاقة السببية بين(السبب والمسبب) واذا ما تعذر عليه ذلك عليه ان يعود بفكره الى عملية ملئ الفراغات عن طريق معرفه الابعاد التي تربطها بالمعلول، فإيجاد وجه التماثل او شبهه بين الاشياء تحتاج الى أعمال الفكر بطريقة اكثر فعالية من غيرها , اما في الجمع بين الأضداد فهو أسهل لان ((الضد اقرب حضورا في البال مع الضد))[٢٤]

اما النوع الثالث فهو:-

٣-**الجامع الخيالي** :- فالسكاكي له تصور عن هذا الجامع ويرى ان الاعتبارالاساس فيه هو نوعية المتلقي فالناس بطبيعتهم مختلفون بالادراك والتصور وهذا نابع من اختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم وطرق تعلمهم واشكال المهن التي عندهم اضافه الى نشاطاتهم، وانواعها فصاحب السلاح(السلاحي) يرى القمر ترساً، والصائغ ينظر الى القمر على انه سبيكة من الابريزِ. وغير ذلك مما يؤكد اختلاف نوعية المتلقي[٢٥].ولكي يتحقق لنا الهدف من هذا الجامع علينا ان نوضح امراً مهما وهو :- على المتلقي تحريك اله الفهم لديه لأنها الأساس في ذلك والذي يكون حبل وصلها هو الثقافة بين المرسل والمتلقي، فالملتقي عليه ان يتحقق من سلامة العلاقات بين وحدات الخطاب اولا ومن بعدها تحديد الدلالة التي تنطوي تحت هذه العلاقات التي أنشأها المرسل، لينفك لغز الخروج عن العالم الواقعي إلى عالم الخيال. ويُعد مجال الادب (شعراً ونثراً) مجالاً واسعاً لتسجيل كثير من العلاقات الفريدة تؤكد القول في هذه الأنواع فنجدهم (الشعراء والكتاب) يجمعون بين المادي والمعنوي والحي والجماد والعاقل وغير العاقل. وهنا يأتي دور المتلقي ليقوم بدور اللاعب الماهر فالساحة متروكة امامه ليلتقط منها دُرَرَهُ فيقارب بين المتباعد منها فيصبح غريبا في هذا العالم، ولا يمكن كسر قيود هذه الغربة الاّ عن طريق فك الرموز

العالقة والمهمة بين العلاقات الموجودة، ليكون بذلك النص الجديد الذي يتشارك فيه بالنصيب والجهد الفكري فهو شريك فعلي في إنتاج الخطاب. لذا فان الجامع الوهمي او الجامع الخيالي يعدان النموذج الامثل الذي تظهر لنا فيها تجليات التشبيه الفريدة على اختلاف البيئات وتنوع الثقافات بين المرسل والمتلقي. وان الاساس الذي دفعنا الى التماس الصفة الحجاجية للتشبيه هي (الجامع) فعند الرجوع الى حديث السكاكي نجده يُشدد على تحديد الجامع بين الأشياء الواردة في الخطاب، وهذا يتوافق بدورة مع تحقيق اصلاً هاماً من أصول النظرية الحجاجية المعاصرة التي تكون بمثابة دعوة رسمية يوجهها المرسل إلى المتلقي طالباً منه إقامة عقدٍ ضمني لإكمال متطلبات الخطاب مستندا على تحقيق الفهم المقصود لهذا الخطاب من طرف المتلقي , ولا يتحقق ذلك إلاّ بالسعي الحثيث من قبل المتلقي لتحديد الجامع الذي يستقيم به الكلام ويستكمل الخطاب انسجامه ويتحقق التواصل به.والتشبيه الضمني هو أكثر انواع التشبيه حجاجيه لما يحمله من صفة حجاجيه اولاً، ولما فيه من طاقه استدلاليه كبيرة تعمل جاهده على جعل المتلقي يعمل فكره بذكاء ومهاره وهذه الطاقة الاستدلالية لا يمكن لعقل ان يرفضها ولا يتسنى لقلب ان يدفعها.

– **التشبيه الضمني (القياس التداولي)** :– تتعدد طرق التشبيه ومسمياتها وكلها تعتمد في الاساس على المشبه والمشبه به واداة التشبيه الاّ ان التشبيه الضمني يعمل بصوره مغايره عن ذلك فطرفا التشبيه لا يعرفان إلاّ من خلال السياق العام للكلام وضمناً في القول وتُعد صفه المشبه به الدليل الاقوى على الادعاء الذي يحتج به وهي اثبات صفة ما للمشبه [٢٦]والسبب الذي جعل العلماء يعدونه استدلالاً يستند على المشاركة بين المرسل والمتلقي، وان الذي يفرقه عن تشبيه التمثيل والمركب انه تمثيل حسي مركب يأتي بذكره في النص للاحتجاج والاستدلال على صحة المقولة للمشبه من اجل تحقيق فعْل الإقناع للمنكر لها [٢٧] .وابو هلال العسكري يسميه (الاستدلال والاحتجاج) ويعرفه بانه: –((ان تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى اخر يجري مجرى الاستشهاد على الاول والحجه على صحته))[٢٨]وهذا يسمح للمتكلم بحريه التنقل والاختيار لما يحتاجه من الفاظ وتراكيب وصور تمكنه الانتقال من حكم الى آخر،. لذا فقد تم عده ممارسه استدلاليه لتجاوزه الحدود والعلاقات داخل المحيط الانساني، إضافة إلى تجاوزه المتغيّرات التي تكتنف المخاطبين داخل محيطهم المعرفي ومن ابرز هذه التجاوزات والانتقالات هي من المعروف الى اللامعروف.[٢٩],ومن اجل ذلك فأن القياس التداولي يعتمد على الربط بين المتباعدين سواء كان المتباعدان ظاهرتين او موضوعين او فكرتين وكل منها له مجاله الخاص به ليتم الربط بينهما عن طريق القياس الذي يتصف بالمغايرة لا المجانسة . محافظة على ثبات الاختلاف ووجوهه في العملية الإبداعية ذاتها وفي الوقت نفسه معتمدة على اذابه الفروق واثبات التقارب والتشابه بينهما.[٣٠] ان المحاولة الجادة للتأثيرفي سلوك المخاطب بوساطة القيمة الفكرية التي يتمسك بحملها ويعمل جاهدا على اثباتها والتي يكون مؤداها اقتناعه بمضمون الفكرة او القول عملاً به او كفّاً عنه.[٣١] فهنا تكمن قوة القياس التداولي وقيمته . [٣٢]ولنا في رساله ابن خلدون امثله حاضرة مثل :– ((*حَنَانَيْكَ ! قد بَلغ* السيلُ الزُّبىَ ، *ونالني* ماحَسبي *به وكَفَى . وما أراني إلا لو* أني *أُمرت بالسجود لآدمَ فأبيتُ واستكبرت* ,وقال لي نوح:(اركب معنا) فقلتُ : (ساوي الى جبل يعصمني من الماء).(وامرت ببناء صرحٍ (لعلي اطلع الى اله موسى)، واعتكفت على العجل ،واعتديتُ في السبت ، وتعاطيتُ فعقرت الناقة، وشربت من النهر .يظهر ابداع ابن زيدون في عملية ربط الأحداث والسلوكيات التي جاء بها امثله حيه لصدق دعواه وانّ فعله لا يصل إلى البشاعة التي من اجلها حصل له ما كان من سجن واقصاء. ان شرط الاستدلال في ما جاء به أبن زيدون هو معرفة ابن جهور الحقيقية بطرفي العلاقة التشبيهيه من كل الأمثلة التي عرضها ابن زيدون ابتداء من السجود الاولى لادم (عليه السلام) واستكبار الشيطان عن ذلك الفعل مستمرا بعرض الأمثل التشبيه والتي جاءت على شكل قصص قرآني الهدف منه العبرة وأن كل فعل يتناسب مع العقاب الذي عُدَّ لذلك الفعل وان ابن زيدون لم يبلغ من فعله ما استحق عليه هذا العقاب القاسي.

٤– **تحصيل الحاصل** :– يعرف تحصيل الحاصل على انه:((مجرد إعادة قول، وآفه منطقية يتم عرض مقولةً ما كحجةٍ ثمّ تكرر بمفردات مختلفة لنصل في الاخير الى ما قلناه سابقاً))[٣٣]. وهذا ما جعل الاسلوب يُرمى بعدم الفائدة ولا حاجة من استعماله. لكن الحقيقة تُقر بعكس ذلك فما من تركيب يؤتى به في خطاب ما الاّ وكانت هناك فائدة مرجوةً منه يهدف من خلالها المرسل تحقيق هدف او نتيجة فالإعادة هنا او التوسع في اختيار مجموعة من المفردات وما كان من إعادة للكلام هدفها الأساس حجاجي خالص فتكرارها يجعل المتلقي ينتبه مرغماً الى عملية التأكيد التي يريد ايصالها المرسل لتحقيق مبتغاه. ويمكن القول على ذلك ايضا بانه اعاده للقول الواحد بصيغ متعددة تعد في حد ذاتها حجه تجعل من المتلقي واقفاً امام سيلٍ كبير من الأدلة. **ومثال ذلك في الرسالة الجدية قول ابن زيدون:** [٤٣] ((واعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعْهُ عفوك، والجهل الذي لم يأتي من ورائِهِ حلمك، والتطاول الذي لم يستغرقه

تطولك، والتحاملُ الذي لم يفِ به احتمالك ولا أخلو من اكون بريئاً فاين عدلك)).فهنا ابن زيدون يذكر الصفات المتعددة لابن جهور من (حلمَ ، وعدل ، وتطول ، واحتمال) وكلها تكمن في شخصهِ وجزءٌ لا يتجزأ منه وفي كل ذلك احتجاج عليه اذ ليس هناك في نظره قاضٍ محايد او قضية خارجة.[٣٥]

٥- **التغاير**:- اعتمدنا في تحديد التغاير على تعريف ابن رشيق القيرواني بقوله :((ان يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتفاوتا ثم يصحيا جميعا)). وهذا يدعونا لتحديد اللمسة الفلسفية التي يحملها التغاير بين طياته إضافة الى احتوائه على سمه منطقيه. ويعتمد فية ايضاً على الاتساع في المعاني وتحقيق المغايرة لما هو أقرب للعقل واوضح للعيان.[٣٧]

ومثال ذلك عند ابن زيدون قوله [٣٨] :- ((ووالله ما غششتك بعد النصيحة، ولا انحرفت عنك بعد الصاغيه لك، ولا نصبتُ لك بعد التشيع فيك، ولا اظهرت يأسا منك، مع ضمان تكلفت به الثقة عنك، وعهد اخذه حُسنُ الضنِ عليك،.....، وعلامَ رضيتُ من المركب بالتعليق ، وقنعت من الغنيمةِ بالإياب..... ثم يقول : [٣٩] ((وقد زانني اسم خدمتك، وزهي بي وشي نعمتك وابليت البلاء الجميل على سماطك، وقمت المقام المحمود على بساطك)).

6- **المشتق** :- يرجع الأصل في هذا الفن إلى ابي هلال العسكري ويقصد به العَمدْ إلى اصل اللفظ واستخراج عله من جنسه تكون وسيلة قويه للاحتجاج، وقد استعمل هذا الاسلوب في الاصل بالذم فقط، اي ان المبدع يلجا الى استخدامه موضحا قدرته على الاشتقاق في الذم والتشاؤم.(٤٠) ومثال ذلك عند ابن زيدون قوله:- [٤١] ((وأستأنف التأدب بأدبك، والاحتمال على مذهبك؛ فلا أوجد للحاسد مجال لحظةٍ، ولا أدع للقادح مساغ لفظةٍ الى ان يقول ولما توالت غُرَرُ هذا النثر، واتسقت دُرَرهُ، فهز عِطف غلوائِهِ، وجر ذيل خيلائه، عارضه النظم مباهياً، بل كايده مداهيا، حتى زفها اليك عروساً مجلوةً في اثوابها، منصوصةً في حُلهانلحظ ان ابن زيدون استغرق كثيراً في مدح ابن جهبور فذكر مشتقاته اذ ولد منها دلالات مدحية تخدم رسالته والغرض الاساس منها وزاد في عمق تأثيرها وألق خصوصيتها.

٧- **الاحتجاج العقلي** :-وهذا النوع من الاحتجاج يخضع بصوره كاملة الى سيطرة العقل فهو الشاهد الاساس على صحه الحجه ومدى موافقتها للحال الذي صنعت من اجله فهو من باب الحجيج القطعية التي لا مجال لإنكارها. [٤٢] ((ولان الشرف وغير الشرف يثبت للأشياء من حيث انفسها واوصافها لا من حيث مسمياتها))[٣٤] وخاتمه رسالة ابن زيدون مثال حي لهذا النوع فقوله [٤٤]:

((هاكها – اعزك الله – يبسطها الامل، ويقبضها الخجل، لها ذنب التقصير، وحرمه الاخلاص، فهب ذنبا لحرقةٍ، واشفع نعمةً بنعمةٍ، ليأتي الفضل من جهاته، وتسلك اليه من طرقاتِهِ.))

خاتمة البحث:

سلط البحث منظاره الأذى وامعن النظر واختار من المكتبة الأندلسية جوهرة نفيسة الا هي الرسالة الجدية لمؤلفها اديب الاندلس ووزيرها ابن زيدون، ونظرا لأهمية الرسالة وعلو شأن مؤلفها ولما تحويه من أحداث حلت بابن زيدون اودت به الى السجن فابدع لنا تحفه ادبيه غايه في الروعة والاتقان ولأنها جُعلت في موضوع الاستعطاف كان لابد من دراستها حجاجياً لإظهار الجوانب الحجاجية التي اردفها ابن زيدون داخل متن الرسالة وبما ان الحجاج اعتمد على البلاغة العربية في ابراز الحجج والبراهين كان لابد لنا من اختيار مجموعة من الاساليب البلاغية التي تمَ الاتفاق عليها انها ذات سمات حجاجيه خاصة ، فكان العرض لها داخل متن البحث واستخراج الطاقات الحجاجية المضمنة هذه الاساليب فكانت الرسالة الجدية خير معين لاستخراج البعد الحجاجي لهذه الاساليب.وبهذا يتأكد لنا ان البلاغة العربية وادواتها ليست للزينةِ الفنية فقط بل انها فرضت نفسها على كل خطاب واصبحت اساسا في كل قول. واذا ما قام الادب العربي بشقيه (الشعر والنثر). بمحاكاة علم الكلام والمنطق، وحمل بين طياته الحجج والبراهين فهذا لا يخرجه عن مساره ابداً بل بالعكس يزيد من اثرائِهِ من جهة ومن نبوغِهِ وابداعه من جهة أخرى.

الهوامش :-

١- الثابت والمتحول: ادونيس ٣، صدمه الحداثة ، دار العودة ، بيروت، ط٢ , ١٩٧٩

٢- من هذه العلوم التأويلية المعاصرة وعلى راسها بول ريكور، محمد بازي الذي أسس نظريته في التأويل التقابلي على مفاهيم البلاغة.

٣- يُنظر على سبيل المثال: الحجاج مفهومه ومجالاته: حافظ اسماعيلي علوي ، دراسات نظرية وتطبيقيه في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٠ ٣- وما بعدها

٤- يُنظر: بلاغة الاقناع في المناظرة عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط١ , ٢٠١٣ : ١٤

٥- يُنظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: الحبيب اعراب (عناصر استقصاء نضري) ضمن كتاب (الحجاج ومفهومه ومجالاته): ج ٣:

٦- يُنظر: المصدر نفسه: ٦٠

٧- تناول هذا البحث بعض المفاهيم التي تم الاجماع عليها بانها ذات صيغة حجاجيه تفادياً للانسياق وراء الآراء التي تجعل من

٨- يُنظر: - استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ،. عبدالهادي بن ظافر الشهري دار الكتب الجديدة، ط١،٢٠٠٤، ٤٧٨

٩- الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي(دراسة وصفيه): ناصر السعيدي، متطلب النيل الدكتوراه، جامعه ام القرى، السعودية , ١٤٢٦ هـ

١٠- يُنظر: استراتيجيات الخطاب : ٤٨١

١١- اصناف الباحث ناصر السعيدي الاتجاه المشترك اذ سعى الى تحقيق اصوله عند القدماء فقد واجه صعوبة في ذلك لأنه وجد ان احد الاتجاهين يطغى على الاخر. يُنظر: الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي: ١١٤ وما بعدها.

١٢- اسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جده، ط ١ ١٩٩١م : ٢٧٧ - ٢٧٨

١٣- يُنظر: الاحتجاج العقلي والفن البلاغي : ١٢٣

١٤- اسرار البلاغة : ٢٩٦

١٥- اساليب الحجاج في البلاغة العربية ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته): محمد الواسطي، ج٣

١٦- الرساله الجدية لابي الوليد احمد بن زيدون (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م مج٣ ع٣، ٢٠٠٧ : ١٩٣

١٧- المصدر نفسه: ١٩٣

١٨- المثل السائر: ابن الاثير، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبه النهضة، مصر، ١٩٥٩م، ج : ٤٨

١٩- الاستدلال الحجاجي التداولي واليات اشتغاله : رضوان الرقبى.، ع٢،مج٤٠، اكتوبر , ديسمبر , ٢٠١١ : ٧٦ - ٧٧

٢٠- علم الكلام من العلوم الاعتقادية التي تشملها العلوم الملية الاصولي: ط١ : ٢٠١٠ : ٤٧ .

٢١- الرساله الجدية : ١٩٢ - ١٩٤

٢٢- المصدر نفسه: ١٩٤

٢٣- يُنظر: ، لسانيات النص. مدخل الى انسجام النصط٢،٢٠٠٦ : ١٢٠

٢٤- مفتاح العلوم: محمد بن علي السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١١٠

٢٥- يُنظر: المصدر نفسه. ١١١

٢٦- يُنظر: ، اساليب الحجاج في البلاغة العربية: محمود الواسطي،. ج٣: ١٤٨ - ١٤٩

٢٨- الصناعتين : ابو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٨٦ : ٤١٦

٢٩- يُنظر:- تحديد المنهج وتقويم التراث: طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط، ١٩٩٤ : ١٨٥

٣٠- يُنظر: في اصول الحوار وتجديد الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، البيضاء المغرب، ط٢ ، ٢٠٠٠: ١٠٧ - ١٠٨

٣١- يُنظر:- المصدر نفسه: ١١١.

٣٢- الرساله الجدية : ١٩٥ - ١٩٦

٣٣- يُنظر: - الفلسفة والبلاغة. مقاربه حجاجيه للخطاب ، ط، ٢٠٠٩ : ١٤٧

٣٤- الرسالة الجدية : ١٩٥

٣٥- يُنظر: استراتيجيات الخطاب الخطاب - مغاربة لغوية تداولية : ٤٩٠

٣٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار الجيل، بيروت، ج٢ : ١٠٠

٣٧- يُنظر: المصدر نفسه : ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣

٣٨- الرسالة الجدية : ١٩٩

٣٩- المصدر نفسه : ٢٠٠

٤٠- يُنظر: كتاب الصناعتين: ٣٤٠

٤١-الرساله الجدية: ٢٠٦

٤٢- يُنظر: اسرار البلاغة : ٣٤٧

٤٣- شرح ديوان المنثي ، عبد الرحمان البرفوقي، مكتبه نزار الباز المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠ : ٣٤٨

٤٤- الرسالة الجدية : ٢٠٧

المصادر والمراجع :-

١- اساليب الحجاج في البلاغة العربية: محمد الواسطي (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته)، ٢٠١٠ .

٢- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشمري دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط١, ٢٠٠٤ .

٣- اسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني تحقيق، محمود شاكر، دار المدني جده، ط١، ١٩٩١.

٤- الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفية): ناصر السعيدي، متطلب نيل دكتوراه، جامعه ام القرى، السعودية . ١٤٢٦.

٥- الاستدلال الحجاجي التداولي واليات اشتغاله: رضوان الرقبي، مجله عالم الفكر، ع٢، مج٤٠،اكتوبر، وديسمبر، ٢٠١١ .

٦- الثابت والمتحول: ادونيس، صدمه الحداثة، دار العودة بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.

٧- الحجاج مفهومه ومجالاته: حافظ اسماعيل علوي، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الاردن، ٢٠١٠

٨- الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري): الحبب اعراب ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ٢٠١٠.

٩- الرسالة الجدية لابي الوليد احمد بن زيدون (٤٦٣ هـ/١٠٧٠ م ، ع٣ , مج٣، ٢٠٠٧ .

١٠- الصناعتين لابي هلال العسكري: تحقيق البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٦ .

١١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني، دارالجيل، بيروت،. د. ت .

١٢- الفلسفة والبلاغة – مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: عماره الناصر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط ١،٢٠٠٩ .

١٣- المثل السائر لابن الاثير: تحقيق، احمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة النهضة، مصر ,١٩٥٩ .

١٤- بلاغة الاقناع في المناظرة: عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، ط١،٢٠١٣.

١٥- تجديد المنهج وتقويم التراث : طه عبد الرحمن , المركز الثقافي العربي الدار البيضاء , المغرب ط٢ , ١٩٩٤ .

١٦- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مكتبه نزار الباز، المملكة العربية السعودية ,٢٠٠٠.

١٧- في اصول الحوار وتجديد الكلام : طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط١، ٢٠٠٠ .

١٨- لسانيات النص – مدخل الى انسجام النص: محمد خطابي المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦ .

١٩- مفتاح العلوم: محمد بن علي السكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت. د. ت.

٢٠- منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي الى المنطق الحجاجي الاصولي: حمو ، ٢٠١٠ .

almasadir walmarajie-:

1-asalib alhujaaj fi albalaghat alearabiati: muhamad alwasti (dimn kitab alhujaaj mafhumih wamajalatihi),
2-astiratijiaat alkhatabi, muqarabat lughawiat tadawuliati, eabd alhadi bin zafir alshamri dar alkutub
3-asrar albalaghati: eabd alqahir aljirjani tahqiqu, mahmud shakri, dar almadanii jadhu, ta1, 1991.
4-alaihtijaj aleaqliu walmaenaa albalaghiu (dirasat wasfiatun): nasir alsaeidi, mutatalib nil dukturah,
5-aliastidlal alhijaajiu altadawuliu waliaat ashtighalihi: ridwan alraqbi, majaluh ealam alfikri, ea2,
6-althaabit walmutahawili: adunis, sadmuh alhadathatu, dar aleawdat bayrut, t 2, 1979.
7-alhujaaj mafhumuh wamajalatuhi: hafaz asmaeil ealwi, dirasat nazariat watatbiqiat fi albalaghat
8-alhujaaj waliastidlal alhujaajiu (eanasir astiqsa' nazarii): alhabab aearab dimn kitab (alhujaaj mafhumih
9-alrisalat aljidiyat labi alwalid aahmad bin zaydun (463 ha/1070 mi), tahqiqu: eabd alhalim husayn
10-alsinaeatayn labi hilal aleaskari: tahqiq albijawi wamuhamad abu alfadl abrahim, almaktabat aleasriat ,
11-aleumdat fi mahasin alshier wadabih wanaqdihi: labi eali alhasan bin rashiq alqayrawani, darialjil,
12-alfalsafat walbalaghat - muqarabat hajajiat lilkhitab alfalsafi: eimaruh alnaasir, aldaar alearabiat
13-almathal alsaayir liabn alathir: tahqiqu, ahmad alhawfi wabadawi tabaanata, maktabat alnahdata, misr
14-balaghat alaiqnae fi almunazarati: eabd allatif eadil, manshurat dafafi, bayrut lubnan, ta1,2013.
15-tajdid almanhaj wataqwim alturath : tah eabd alrahman , almarkaz althaqafiu alearabiu aldaar albayda' ,
16-sharh diwan almutanabi, eabd alrahman albarquqi, maktabuh nizar albazi, almamlakat alearabiat
17-fi asul alhiwar watajdid alkalam : tah eabd alrahman, almarkaz althaqafiu alearabii, aldaar albayda'
18-lisaniaat alnasi - madkhal alaa ainsijam alnas: muhamad khatabi almarkaz althaqafii alearabia , aldaar
19-miftah aleulumu: muhamad bin ealiin alsakakii , dar alkutub aleilmiat , bayrut. du. t.
20-mantiq alkalam min almantiq aljadalii alfalsafii alaa almantiq alhajaajiu alaswli: hamw alfaqaarii aldaar alearabiat lileulum nashiruna, bayrut, ta, 2010